كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

الأبعاد النظرية والمنهجية لتناول ماكس فيبر للإسلام "دراسة تحليلية سوسيولوجيا"

دراسة مقدمة من

راقية محمد سمير سيد على النمر

للحصول على درجة دكتوراه الآداب في علم الاجتماع

تحت إشراف

أ. د صالح سليمان عبد العظيم
الأستاذ في علم الاجتماع
جامعة عين شمس

أ. د أماني عزت طولان
أستاذ علم الاجتماع المساعد
جامعة عين شمس

(2022-1444)

المستخلص

تقوم الدراسة الحالية بالتعرف على الأبعاد النظرية والمنهجية لتناول ماكس فيبر للإسلام التي زعم فيها أن الإسلام دينٌ يروّج للنزعات المادّية الدنيوية، وقام بتنسيق أيديولوجيته وفق منظومة عقلية خاصة به، بالاعتماد على ما ورد من دراساته عن الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ودراسات في علم الاجتماع الديني، والاقتصاد والمجتمع، ومن ثمّ سلّط الضوء على أدلّة ساقها هذا المفكّر لإثبات النزعة الدنيوية في التعاليم الإسلامية في إطار الشخصية الكاريزمية، التي وصف بها النبي الكريم وصحابته، الذي اعتبرهم محاربون من عرب البادية بصفتهم حملة رسالة الإسلام برأي فيبر. بالإضافة الي تناول الدراسة شخصية النبي الكريم محمد ﷺ كمؤسس مجتمع من خلال ظاهرة التغير الاجتماعي.

Ebxtract

The current study identifies the theoretical and methodological dimensions of Max Weber's approach to Islam, in which he claimed that Islam is a religion that promotes worldly materialistic tendencies, and coordinated his ideology according to his own mental system, relying on what came from his studies on Protestant ethics and the spirit of capitalism and studies in religious sociology, economy and society, and then he shed light on the evidence presented by this thinker to prove the worldly tendency in Islamic teachings within the framework of the charismatic personality, which he described the Holy Prophet and his companions, whom he considered warriors from the Arabs of the desert, as bearers of the message of Islam in the opinion of Weber.

The study dealt with the personality of the Noble Prophet Muhammadﷺ as the founder of a society through the phenomenon of social change.

أولاً: الدراسة

قام ماكس فيبر بدراسات مقارنة تناولت الأديان الكبرى والعلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية بينها، وبين الاتجاهات الدينية. وعند دراسته للإسلام سلّط الضوء على أدلّة ساقها لإثبات النزعة الدنيوية في التعاليم الإسلامية في إطار الشخصية الكاريزمية التي وصف بها النبي الكريم محمد ﷺ وصحابته الذي اعتبرهم محاربون من عرب البادية بصفتهم حملة رسالة الإسلام.

ثانياً: مشكلة الدراسة

وعلى الرغم من أن تحليل فيبر للإسلام لم يكتمل قط، إلا أن الإسلام له أهمية خاصة في كل أعماله ولذلك فهو أمر يستحق الدراسة بشيء من التفصيل، والتعرف على منهجه، الذي انتهجه ومصادره. لذلك تمحورت الدراسة الحالية حول الأبعاد النظرية والمنهجية لتناول ماكس فيبر للإسلام في دراسة تحليلية سوسيولوجيا للتغير الاجتماعي في عهد النبي محمد ﷺ حول العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية.

وانطلاقا مما سبق، فكانت مشكلة الدراسة، الاجابة على السؤال الذي مؤداه: ما هي الأبعاد النظرية والمنهجية لتناول ماكس فيبر للإسلام؟

ثالثاً: أهمية الدراسة:

للبحث أهمية من الناحية النظرية، ومن الناحية التطبيقية.

١-الأهمية النظرية:

أ-ترجع أهمية البحث إلى قلة الدراسات السوسيولوجيا، التي تناولت الفكر الإسلامي بوجه عام والدراسات في موضوع الدراسة الحالية بوجه خاص. فبرغم أن مؤسس علم الاجتماع

البشرى العالم الإسلامي العربي ابن خلدون، إلا أنه قد تم التركيز على النظريات الغربية وأولتها الدراسات السوسيولوجيا العناية الكافية بالدراسة والتحليل.

ب- أسس التغير الاجتماعي في الإسلام متعددة الأبعاد، فهي تؤكد على الحفاظ على علاقة الإنسان بالله والاحترام المتبادل بين الأفراد، ومراعاة المصلحة العامة، والتكامل، والتكافل والتعاون بين الأفراد في المجتمع والولاء والانتماء لأمة الإسلام، والقدوة الصالحة من جانب الكبار "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" الأحزاب:٢١ وعلى أساس هذا الفكر يتأسس مجتمع يقوم على القدوة الحسنة، التي تعمل علي التعاون والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفاظ على النفس، والنسل والعقل والمال لنكون مجتمعات مترابطة متماسكة بعيدة عن الانحلال، والفساد والخبائث.

٢-الأهمية التطبيقية:

أ- ترجع الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة إلى أن أنماط وضوابط وآليات التغير الاجتماعي في عهد النبي محمد ﷺ، تؤكد على النواحي التطبيقية.

ب- وترجع أهميته أيضا إلى أنه، يضع يده على بعض جروح الأمة العصرية، بخروج جماعات متشددة، ومكفرة، تقتل النفس، التي حرم الله قتلها بغير وجه حق، وتعمل على استحلال الأموال بالباطل، انتشار العنف والجريمة، وهو ما يتشابه مع المجتمع الجاهلي في عهده ﷺ."[١]".

رابعاً: أهداف الدراسة:

انقسمت أهداف الدراسة إلى رئيسية وفرعية.

١- الأهداف الرئيسية:

أ-دراسة شخصية النبي الكريم محمد ﷺ باعتباره مؤسس مجتمع، وكيف استطاع تغيير مجتمع بكامل جوانبه.

"[١]"-أحمد محمد العسال: الإسلام وبناء المجتمع، ط١١، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000، ص6 8-

ب- دراسة محددات التغير الاجتماعي في عهد النبي محمد ﷺ.

ج- دراسة البناء المنهجي لماكس فيبر في دراساته بوجه عام وللإسلام بوجه خاص وأبعاده النظرية.

٢-وأما عن الأهداف الفرعية فتمثلت في:

أ-دراسة طبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية في شبه الجزيرة العربية، التي نشأ فيها النبي الكريم محمد ﷺ.

ب- دراسة آليات، التغير الاجتماعي وضوابطه في عهده، مقارنا بالتصور الفكري الغربي للتغير الاجتماعي، وأهم القضايا الأساسية التي تشكل بناء تصورات فيبر عن هذا التغير، من منطلق دراسته للأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية وتصوراته عن الإسلام وشخصية النبي الكريم.

ج- ثم دراسة الأبعاد الاجتماعية للرأسمالية والنظام الاقتصادي في الاسلام، وأثرهما على الفرد والمجتمع.

خامساً: تساؤلات الدراسة:

واستنادا لما سبق تطرح الدراسة التساؤلات الرئيسية التالية:

١-هل اتسمت أفكار ماكس فيبر بالدقة العلمية، وما هي الجوانب الإيجابية، والسلبية الخاصة بها؟

٢-هل اتفقت مع واقع التغير الاجتماعي لعهد النبي الكريم محمد ﷺ، وما هي جوانب الاتفاق والاختلاف؟

٣-ما هي الأبعاد الاجتماعية للرأسمالية، والنظام الاقتصادي في الاسلام، وأثرهما على الفرد والمجتمع؟

٤-هل ثمة اتفاق أو شبه، بين مبادئ الدين الإسلامي، والأخلاق البروتستانتية؟

سادسا: مفاهيم الدراسة:

1- مفهوم الأخلاق البروتستانتية:

أ-الخلق لغة هو: الطَّبْع والسجيَّة، وقيل: المروءة والدِّين، ويمكن تعريف الأخلاق بأنها المبادئ والواجبات التي يلتزم بها الإنسان"[٢]". والمفهوم من الناحية السوسيولوجيا عبارة عن أفكار الصواب والخطأ، التي يؤمن بها فرد معين، أو جماعة أو مجتمع ما والنسق الأخلاقي عبارة عن: نسق كبير نسبيا، يتميز بالتعقيد والتكامل، وينطوي على المبادئ الأخلاقية للدين أو الأيديولوجية أو الثقافية الخاصة، كما يمكن أن تشتمل الأنساق الأخلاقية في كل المجتمعات على كثير من الأفكار الأخلاقية المتشابهة"[٣]".

قضية الأخلاق عند Max Weber بشكل عام، والقيم الدينية بشكل خاص انطلقت من مسلمة أساسية مؤداها: أن العنصر الأساسي في الحياة الاجتماعية هو(المتغير المستقل) الأخلاق والدين، بينما غيرهما والجوانب الأخرى بما في ذلك النسق الاقتصادي في مرحلة تالية بمثابة (المتغير التابع) المتأثر بهما " [٤] ".

ب- البُروتسْتانْتيَّة"[٥]" هي: طائفة من المذاهب الدينية والكنائس المنبثقة عن حركة التغييرات التي أحدثها في الكنيسة "مارتن لوثَر" 888 - 953 هـ / 1483- 1546 م". وقد استخدم

"[٢]" ابن منظور، لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت، ص10 .

مقدمة كتاب علم الأخلاق إلى نيقوماخوس لأرسطو: برتلي، ترجمة / أحمد لطفي السيد مطبعة دار الكتب 1342هـ - 1942م، ص8.

"[٣]"- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1990، ص 294.

" [٤] " على ليلة: النظرية الاجتماعية المعاصرة، ط4 ، ج 3، بدون دار نشر، 2009 م ص 18.

سمير نعيم: النظرية في علم الاجتماع، ط٢، دار المعارف، القاهرة ،1979 م . ص .119.

"[٥]" Protestant, Ethic, and the Spirit of Capitalism, (Trans by: T Parsons. N.Y. 1930)

ماكس فيبر مصطلح الأخلاق البروتستانتية في مؤلفه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" وتسمى أيضا أخلاقيات العمل"[٦]"، وهو رمز للأخلاق على أساس مبادئ الادخار والانضباط والعمل الشاق، والفردانية[٧]".

د- أما الأخلاق في نطاق الفكر الإسلامي، فقد جاءت في قوله تعالى على لسان قوم هود: "إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) الشعراء: 137) أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين، يُلفِّقون مِثْلَه ويدعون إليه، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدَّمونا من الآباء وغيرهم، فخُلُق الأولين هنا بمعنى دِينهم،"[٨]" وعادتهم وأخلاقهم. وجاءت أيضا في قوله عز وجل مخاطبًا سيد الخَلْق محمدًا ﷺ: "وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(القلم:4) وذلك خُلُق القرآن، الذي أدَّبه به، أي: دين عظيم وهو الإسلام وشرائعه"[٩]". الأخلاق الإسلامية تشترط حسن النية، لضمان الأجر، فالله عز وجل، لا يقبل من العمل، إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى "[١٠]". فالرسالة الإسلامية جاءت من أجل إتمام مكارم الأخلاق. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله "[١١]": إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاَقِ. والأخلاق في الفكر الإسلامي هي اعتياد الاستجابة للفضائل الإسلامية، في التعامل مع مخلوقات الله

"[٦]"محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص356 .

"[٧]"عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص.373

"[٨]"وهذا مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنه وقتادة والفرَّاء وابن الأعرابي ومحمد بن يزيد وغيرهم تفسير الطبري: جامع البيان، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص11، ص 119. القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص13، ص 125، ص.126.

"[٩]" تفسير الطبري، المرجع السابق، ص 24 – 25.

"[١٠]"أخرجه " أحمد " ١/٢٥(١٦٨) و" البُخَارِي "١/٢(١) و" مسلم " 6/48 (4962).

"[١١]"وفي رواية الموطأ " مكارم الأخلاق 2/ 904 ". أخرجه أحمد 2/381(8939) و" البُخاري" في الأدب المفرد ٢٧٣.

تعالي، وفق المنهج الرباني وتمتاز بأنها، ثابتة لا تتغير بالزمان، أو المكان، فبر الوالدين واجب أبدى والكرم خلُق دائم، والصدق لا تغيره المفاهيم المادية السائدة في المجتمع لأنها محددة بضوابط الشريعة والسنة النبوية الشريفة وليست أهواء الناس"[١٢]. والأخلاق بوجهٍ عام هي، هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال عنها بسهولة من غير حاجة إلى فكر"[١٣]".

ومما سبق نجد أن المفهوم اشتمل على عدة عناصر:

-الأخلاق ثابتة لا تتغير بالزمان أو المكان، فبر الوالدين، والكرم، والصدق...الخ، أخلاق دائمة، لا تغيرهم المفاهيم المادية السائدة في المجتمع.

- نمط من السلوك المنظم، يمكن أن يحقق نوع من الاستمرار، يساعد على التنبؤ به.
- مفهوم يشير إلى العادات السلوكية.
- كما يشير إلى أساليب السلوك المتكاملة مع غيرها.

في ضوء ذلك يمكن تعريف الخُلُق إجرائيا بأنه:

أوصاف طبائع الإنسان الفكرية والفطرية والمكتسبة، التي يتفاعل بها مع غيره بقول أو عمل، لقناعة شخصية، أو عن تقليد ما يُشاهده أو لكونه من سيرة مَن يحبه، ويقتدي به ويكون نابعا من الالتزام بالآداب الشرعية الصادرة عن الأحكام القرآنية، والتعاليم النبوية. إذا ما أُقترن الخلق بالبروتستانتية فيمكن أن نطلق عليه أنه نمط سلوكي مستنتج من وجوده لدى فرد معين يمثل أعراف جماعة محددة أو طائفة، تمتلك سلوكيات أيديولوجيا الدوافع التي يتوحد معها إراديا.

٢- مفهوم روح الرأسمالية:

أ-روح الرأسمالية عند فيبر. هي نسق الأخلاقيات، أو الاتجاهات نحو الحياة، وما يجب أن يفعله الإنسان فيها، ومن أهم خصائصها، الاعتقاد، بمعنى أن يصبح جمع المال هدفا في حد ذاته، أو أن يكون من أهم أهداف الانسان في الحياة زيادة ثروته، بغض النظر عن

"[١٢]"بدر عبد الحميد: الأخلاق في الإسلام http://www.saaid.net

"[١٣]"أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار السلام، القاهرة، ط ٥، المجلد الأول، 2007 م، ص47

الأساليب المتبعة في ذلك، طالما كانت الأساليب تتصف بالكفاءة، كما تتصف هذه الروح أيضا بالمرونة والابتكار، وادعى فيبر أن هذه القيم، أي قيم الربح وزيادة الثروة، أو هذه الروح تتصف بصفة العمومية في العالم الحديث، لأنها أصبحت قوية جدا في الغرب. رأى فيبر أن هناك عامل ما، ارتبط بظهور الروح الرأسمالية، وقرر أن هذا العامل هو قيام الحركة البروتستانتية، لما اشتملت عليه من عناصر أخلاقية، شجعت على ظهور الروح الرأسمالية مثل: روح التقشف، والاتجاه الدنيوي المستمد من تعاليم " Martin Luther"[١٤]"

ب–على الرغم من أن فيبر، يُقر بأنه، قد كان ثمة عناصر أولية للرأسمالية في المجتمعات القديمة (المجتمع البابلي و الصيني...) فإن هذه العناصر، لم تُؤدّ من وجهة نظره إلى العقلنة التي تُميز تطور الرأسمالية الحديثة في الغرب، الذي شهد وحده شكلاً آخر من الرأسمالية في الأزمنة الحديثة، وهو التنظيم العقلاني الرأسمالي الدقيق للعمل الحُر والذي لا يمكن اعتباره الخاصيةَ الوحيدة للرأسمالية الغربية؛ لأن ذلك لم يكن ممكناً من دون عامِلَين آخَرين هما: فصل العمل المنزلي عن المؤسسة، والمحاسبة العقلانية، كما ارتبط بالرأسمالية تحويل كل شيء إلى سلعة "[١٥]".

ومن خلال ما تم طرحه، نجد أن، مفهوم روح الرأسمالية اشتمل على العناصر التالية:

–روح الرأسمالية لا تزدهر، إلا في وجود سلطة سياسية، تحافظ على أسلوب كسب الأموال وهو ما أسماه بالدولة العقلانية في تنظيم علاقات العمل بالإنتاج، وهو ما أسماه بالدولة العقلانية، المتمثلة في الاهتمام بالإدارة، والبيروقراطية.

–لا تشتمل على العامل المادي فقط، بل تتكون من خلال دور الدين، في تشكيل طبيعة الأنشطة، والنظم الاقتصادية.

وفى ضوء ما سبق، يمكن تعريف روح الرأسمالية إجرائيا بأنها:

"[١٤]"سمير نعيم: النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص127: 128.

"[١٥]"جوليان فروند: سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت د.ت، ص 85.

تلك الدوافع والأهداف والحوافز المترابطة بطريقة عقلانية واقعية؛ لتكوين نموذجاً مثالياً مستمد من المعتقدات والممارسات الدينية البروتستانتية.

سابعا: الدراسات السابقة:

وجاءت دراسة "راجح إبراهيم 2007" [١٦]"، بعنوان "المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة " هدفت دراسة عقائد وشرائع الطائفة البروتستانتية، التي أسسها الراهب الألماني "مارتن لوثر"، تحت اسم حركة الإصلاح الديني، التي عرفت فيما بعد باسم حركة البروتستانت، أي حركة المحتجين، واحتج هو وأتباعه على قرارات مؤتمر ورمس الذي تحالف فيه الإمبراطور " تشارل الخامس " مع البابا ضد لوثر، كما هدفت الدراسة، إبراز العلاقة بين عقائد التوراة وعقائد البروتستانت قديما وحديثا والتعرف على مدى خطورة هذه المعتقدات، والتي ساهمت في عودة اليهود إلى واجهة الأحداث في القارة الأوروبية. واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال عرض بعض مؤلفات أعلام البروتستانتية. وتشير أهم نتائج الدراسة إلى أن صكوك الغفران، التي أصدرتها الكنيسة إضافة إلى ممارستها القمعية سببا مباشرا ورئيسيا في انطلاق حركة الإصلاح الديني، التي شهدتها أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

أما دراسة نادر نادري، عام 2012 والتي كان موضوعها: ماكس فيبر ودراسة الشرق الأوسط "[١٧]"، فقد استهدفت، أبحاث فيبر لدراسة إقليم الشرق الأوسط وعلى دور الإسلام في الحياة اليومية، وإثبات أن التأكيد الدائم على أن الإسلام في الإقليم أدى إلى وجود نمط من الحتمية الدينية وأنه بالإمكان التشكيك فيها – الحتمية الدينية – كغيرها من الحتميات سواء أكانت اقتصادية أو جغرافية أو غيرها، لأن التأكيد على الحتمية سواء كانت دينية أو غيرها أدى إلى وجود نوع من التأويلات المنحرفة تماما. كما هدفت التعرف على وجهة نظر فيبر

---

[١٦]"راجح إبراهيم محمد السباتين: المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، ماجستير، كلية الدراسات العليا، 2007، الجامعة الأردنية، الأردن.

"[١٧]" نادر نادري: ماكس فيبر ودراسة الشرق الأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة/ محمود حمدى عبد الغني، الإصدار الثالث، المجلد1 / العدد/ 22، 2012.

في الإسلام والمجتمع الإسلامي، وكيف تفاعلت الأفكار الاستشراقية والتصورات الفيبرية فيما يتعلق بنظام الهيمنة الميراثية وتأثير هذه التصورات على المداخل المعاصرة لدراسة إقليم الشرق الأوسط. استخدم الباحث المنهج النقدي. وتشير أهم نتائج الدراسة إلى أن، تحليل فيبر للأخلاق الإسلامية خاطئا من الناحية الواقعية ومضللا؛ حيث ركز على الأيديولوجيا، ثم التسليم بمجموعة من الأفكار والمعتقدات، تتعلق بالميراث الاستشراقي/ الفيبري الدارس للشرق الأوسط. ونظر للأخلاق الدينية بوصفها تمثل العقبة الرئيسية لتوليد الرأسمالية الصناعية.

دراسة "محب عبد الحي"[١٨] سنة 2015، تحت عنوان: شبهات المستشرقين حول النظام الاقتصادي في الإسلام. هدفت دراسة خطورة موضوع الاستشراق، وأنه بحاجة إلى دراسات علمية ومتعمقة من جميع زواياه وكافة جوانبه وأن للمستشرقين أثراً عميقا وخطيرا في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام، ولهذا ينبغي تصحيح أقوالهم لأنه في نشأته الأولى –الاستشراق– كان صادرا عن أغراض دوافع دينية وكنسية، لذلك كثير منهم أساء للإسلام بقصد، أو دون قصد. استخدمت الدراسة المنهج التحليلي، والمنهج النقدي ومن النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة، وتتعلق بالاقتصاد في الإسلام، بأن له أمور ثابتة لا تتغير، مثل تحريم الربا، الغش، الاحتكار، عقوبة السرقة، ونحو ذلك، ومنه ما هو متغير ومتجدد، كبيان نطاق الملكية العامة، ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، إجراءات تحقيق عدالة التوزيع، وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع إلى غير ذلك وهناك نتائج توصلت لها هذه الدراسة تتعلق بالاستشراق والمستشرقين ومواقفهم مثل أن كثير من المستشرقين يعتمد فكرة معينة، ثم يسعى لإثبات هذه الفكرة معتمدا على أدلة لا تهمه مدى صحتها،

"[١٨] محب عبد الحي الباز الدياسطى: شبهات المستشرقين حول النظام الاقتصادي في الإسلام رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر،2015 .

بمقدار ما يهمه من الاعتماد عليها؛ لدعم رأيه وفكره؛ ولهذا يقعون في مفارقات ينأى عنها البحث العلمي والبعد عن الموضوعية والمنهج العلمي.

موقف الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة، من حيث جزئيات موضوعاتها، ولكنها اختلفت من حيث تكامل مشكلة الدراسة وصياغاتها، كما استفادت الدراسة من تناول الدراسات السابقة لبعض الموضوعات مثل الاقتصاد، وماهيته ومساره وتأثيره في إحداث التغير الاجتماعي. وذلك من ضمن ما توصلت إليه نتائج تلك الدراسات.

واختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها استخدمت منهجا تحليليا، قائم على إطار تصوري محدد للوقوف على الأبعاد النظرية والمنهجية لماكس فيبر للإسلام، في دراسة تحليلية سوسيولوجيا للتغير الاجتماعي في عهد النبي محمد ﷺ، حول العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية، التي أجراها ماكس فيبر.

ثامنا: منهج الدراسة:

المنهج التحليلي واشتمل علي:

1- الإطار التحليلي وكان له عدة أبعاد:

أ-بعدا نظريا يتم من خلاله تحديد الفرضيات والمسلمات الأساسية النظرية التي نستطيع من خلالها تحليل حالة التغير الاجتماعي في عهد النبي الكريم من خلال تناول ماكس فيبر للإسلام والتوصل للأبعاد النظرية والمنهجية عنده.

ب-بعدا منهجيا، ويتم من خلاله تحديد المبادئ المنهجية، التي تستند عليها الدراسة في الإجابة على تساؤلاتها وتحقيق أهدافها.

ج- في حين يدور بعدا آخر حول التحولات والتغيرات الواقعية الثقافية، التي انتقلت بآليات التغير الاجتماعي في عصر النبي محمد ﷺ من حالة التفاعل الأولى، إلى حالة التفاعل على المستوى المجتمعي الأكبر. في إطار هذا البعد نحاول التعرف على السياقات البنائية والفكرية التي ساهمت في تباين آليات التغير الاجتماعي في ذلك العصر.

2-فرضيات و مستويات المدخل التحليلي:

أ-تعد طبيعة التغير الاجتماعي، سنة إلهية حتمية، تتم من خلال مراحل متتالية، حيث تبدأ الحضارة الإنسانية في النمو والازدهار، وتستمر في سيرها، حتى يأذن الله بهلاكها ولا يكن ذلك فجأة بدون مقدمات، فلكل مجتمع أجل محدد، وتلك سنة لا تتغير.

ب-إن هلاك الحضارة وخراب العمران يسبقه مقدمات وأسباب، نابعة من المجتمع ذاته تتفاعل على مدار الزمن حتى يتم التغيير وهذا يتم من خلال التحول العقائدي والاجتماعي. **أما العقائدي**، يظهر في الفسوق والعصيان، وتعدى حدود الله، "[١٩]". بينما **التحول الاجتماعي** يتمثل في تفكك العلاقات الاجتماعية وفسادها، والمقصود كافة الصور والحالات، التي تتخذ فيها العلاقات الانسانية شكلا يخالف الاستقامة والمشروعية وفساد المعاملات الإنسانية، خراب نظام الأخلاق والمجتمع والتحضر. **والتحول الآخر**، يحدث لفساد أنساق المجتمع الثقافية والسياسية، والاقتصادية، والبيئية، وغيرها. "[٢٠]".

3- محاور التحليل

حددت الدراسة محاور تحليل الأطر الفكرية لماكس فيبر في:

أ-مدى التزام فيبر بالتعبير عن روح الإسلام، طبقا لتأوله الخاص بالنصوص والمصادر الإسلامية المتعلقة بالتغير الاجتماعي.

ب- مدى تأثير الواقع الاجتماعي والسياسي وروح العصر والظروف الثقافية، التي أحاطت فيبر في تشكيل تصوراته الخاصة، وانعكاس ذلك على رؤيته الكلية، حول التغير الاجتماعي في الإسلام.

4-وعلى ذلك تم تحديد عناصر التحليل كالآتي:

أ-ظروف الواقع الاجتماعي، والسياسي، والثقافي قبل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية.

ب- مدى التزام ماكس فيبر بمنهجه النظري عند دراسة الأديان، وخاصةً الدين الإسلامي.

ج- روح الرأسمالية، والتصور الاقتصادي الإسلامي.

---

[١٩]- أبو الأعلى المودودي: تفهيم القرآن، تعريب / أحمد إدريس، ج1، دار الشروق، بيروت، 1988، ص 56-57.

[٢٠]- المرجع السابق: ص 57.

5- أسلوب التحليل و أدواته:

استعانت الدراسة بأسلوب البحث المكتبي والوثائقي، والذي يعتمد على مصادر مستمدة من كتابات عربية لمفكرين تعبر تصوراتهم عن مشكلة الدراسة.

تاسعا: النظريات المفسرة:

المقولة الأولى: للقيم الدينية دور كوسيلة إرادية في إحداث التغير الاجتماعي. اعتبر فيبر النسق الديني بدأ مع نشأة الوجود الاجتماعي، وله تطوره المستقل"[٢١]"، الذي لا يجعل منه انعكاسا لعوامل مادية بقدر ما يكون هذا التطور، مجرد تفرع جديد لأصل قديم"[٢٢]". ومن هنا كانت فكرته عن الرأسمالية الغربية وصعودها باعتبارها نتيجة الروح الرأسمالية، ورأى أن النظام الرأسمالي نسق معقد يضم مجموعة من النظم ذات طبيعة عقلانية والرأسمالية نسق من المشروعات الهادفة إلي الربح التي ترتبط فيما بينها، من خلال علاقات السوق، وهي بهذا المعني، نمت وتطورت عبر التاريخ في أماكن كثيرة، وأزمان مختلفة، و أن الرأسمالية الحديثة تختلف عن أشكال الرأسمالية القديمة، بما تتميز به من طابع عقلي وتنظيم رشيد للعمل الحر، كما أنها تتسم بنسق من الأخلاقيات أو الاتجاهات نحو الحياة وما يجب أن يفعله الإنسان فيها، ومن ذلك الاعتقاد فعلى الإنسان أن يبذل جهداً للحصول على دخل أو جمع المال، وأن يفعل ذلك حتى بعد أن تتوافر له احتياجاته الأساسية ويكون جمع الثروة وزيادتها، أهم أهداف الإنسان."[٢٣]"

المقولة الثانية: ينقسم العالم من خلال الدين إلى، العالم الأرضي الذي نعيشه، وعالم ما فوق الطبيعة، الذي يحتوي على مجموعة من الذوات التي تضم آلهة وشياطين. وتنبثق هذه المقولة من نظرية النبوة عند فيبر التي حاول من خلالها تحليل النسق الديني من الداخل في علاقته بالسياق المحيط، حيث يختلف عن العالم الأرضي الذي نعيشه، وهناك مسائل ذات تنوع كبير عن كيفية إدراك ذوات عالم ما فوق الطبيعة، ثم طبيعة علاقات هذا

---

[21] -Keith A. Roberts: Religion in Sociological Perspective, Wadsworth Publishing Company, California, 1990, pp226-227

[٢٢]- على ليلة: النظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 403.

[٢٣]- المرجع السابق، ص .607.

العالم بالعالم الطبيعي."[٢٤]" فيؤكد على أن الكاريزما الدينية الملهمة وسيط، بين عالم الطبيعة وذوات عالم ما فوق الطبيعة، وأن خاصية التميز، أو الكاريزما عادةً ما تنسب للأفعال أو الموضوعات أو الكائنات البشرية المتصلة بعالم الحياة اليومية"[٢٥]". ميز فيبر بين نموذجين للنبوة فإما أن يشعر النبي بأنه وسيلة في يد العناية الإلهية، بحيث يبلغ باسمها أمراً أو معياراً، ينبغي على البشر التطابق معه كواجب أخلاقي"[٢٦]"، وهذه النبوة الأخلاقية، أما الذي يظهر من حيث كونه مثالاً للآخرين يرسم لهم الطريق إلى الخلاص الديني، فهو ما يسميه فيبر بالنبوة المثالية. "[٢٧]"

عاشرا: النتائج في ضوء الدراسات السابقة والمقولات النظرية:

– من الأبعاد النظرية لماكس فيبر عن الإسلام أن نظرياته عكسَتْ مختلف أبعاد الصورة القاتمة التي كانت لدى البعض من علماء الاجتماع الديني والأنثروبولوجيا الذين حاولوا النظر إلى الدين كظاهرة اجتماعية، على المستوى الروحي والثقافي كمتغير مستقل وجوهري في التاريخ والعمران البشري، وبدأ فيبر بالبحث والدراسة في أساس فكرة الدين المتمثل في الحقيقة الإلهية، كجوهر الحقيقة الدينية، حيث التشكيك الجذري في تلك الحقيقة، والبحث في أصول فكرة الدين، وفي ذات الوقت، يدعون زوراً أنهم ينظرون إلى الدِّين كعامل مهم لتماسُك المجتمع، وهم في حقيقة الأمر ينظُرون إليه من زاوية مَدَى مَنفَعته للمصلحة الشخصية المادية.

–إن المصادر التي اعتمد عليها فيبر والروايات التي نقلها من بعض المراجع تعد من جملة الروايات غير الصحيحة عن الإسلام دون دراسة القرآن الكريم، لأن في ذلك الوقت، لم يكن متاح أي ترجمات للقرآن الكريم في ألمانيا، أو أوروبا بشكل عام بسبب العداء الشديد له في

---

[٢٤]– المرجع السابق، ط ٤، ج2، ص 102.

[٢٥]– نيقولا تيما شيف: مرجع سابق، ص 244

[٢٦]–على ليلة: النظرية الاجتماعية المعاصرة، مرجع سابق، ص 103.

[٢٧]– Zeitlin, I: Ideology and the development of Sociological theory prentice Hall, New Delhi, 1969 p, 174.

تلك الحقبة ولم يكن لديه أدلة علمية لدعم ادعاءاته، كما جاء في دراسات (نادر نادري،2012)، (محب عبد الحي2015) .

–وبالعودة إلى المقولات النظرية، نجد أن علماء الاجتماع وخاصة في الفكر الغربي ومن تبعهم في الفكر الاجتماعي العربي، يعتبرون ماكس فيبر، من أوائل مؤسسي سوسيولوجيا الأديان في علم الاجتماع، إذ اهتم بدراسة البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية والإسلام ورأى أن الدين البروتستانتي، باعتباره بنية فوقية، هو الذي ساهم في ظهور النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية ، لأن البروتستانتية، ولاسيما مذهب كالفين يدعو إلى العمل والاكتساب والمبادرة والتنافس المثمر، وتنمية رأس المال والإقبال على الحياة، وربح الثروات؛ لتحقيق الغنى، وفق مبادئ أخلاقية بروتستانتية، ودوافع سيكولوجية مثل، الشح والاستثمار والاقتصاد والادخار وحب العمل...الخ

–أما الإسلام، فقد اعتبره ديانات لاعقلانية، تسوده أفكار خرافية وسحرية معادية للعقل. ولذلك، لم تتطور الأوضاع الاقتصادية في البلدان التي تنتشر فيها هذه الديانات؛ نظرا لافتقادها إلى العقلانية في التدبير والتنظيم والتفكير كما يزعم فيبر، وهذا ما لم تؤكده الدراسات السابقة.

–من أبعاد البناء المنهجي عند فيبر، بأن يبدأ الباحث في إطار ذاتياً، إلا أنه ينتهي موضوعياً منفصلاً عن الحقيقة، الذي ارتبط بها في البداية، فاختبار المشكلة يتحقق بالنظر إلى مشاعر ذاتية، قد تدفع إليها أوضاع قيمية مرجعية تتعلق بذاتية الباحث، غير أنه إذا كانت حدسياته بشأن الحقيقة موضع الدراسة فإن هذه الحدسيات لا تكتسب مشروعيتها العلمية وموضعيتها إلا من خلال تعريضها لإجراءات المنهج العلمي كما في العلوم الطبيعية. ويعمق فيبر إيمانه بالموضوعية، حينما يؤكد أن على الباحث صياغة قضاياه بشأن الظواهر موضع الاهتمام على النحو الذي يُمَكِّنْ غيره من الباحثين من اختبار صدقها وكفاءتها العلمية بسهولة ويسر. وهذا ما لم يستطع فيبر تطبيقه في دراسته لتحقيق الموضوعية والحيادية العلمية.

–تبدو ملاحظات ماكس فيبر عن الإسلام بالقياس إلى دراساته الشمولية عن ديانات العالم الأخرى، ملاحظات قصيرة، وقد قيل، لأنه مات قبل أن ينجز دراسته التي كان يعدّها حول

الإسلام. كان النبي محمد ﷺ، عند ماكس فيبر شخصية كاريزمية والزعيم العسكري ومؤسس الدولة. وكان هذا يدخل في إطار من البحث تجلى في اهتمام فيبر بالسلطة الدينية. لكن يبدو أن هذا التحليل، أقل ما يقال عنه، إذا ما قورن بتحليل أنبياء بني إسرائيل، تحليلاً سطحيا وأقل تكاملية وشمولية، وخارج حدود أخلاقية القيم والعلم، لأن أنبياء الله، وخاصة النبي الكريم محمد رسول الله وليس كأحد من البشر.

بالعودة إلى النظريات الموجهة للبحث، يمكن القول، أنه من الأبعاد النظرية لفيبر، أن أفكاره مهدت لظهور نظريات التحديث، التي ادعت انتشار النموذج العلماني الغربي، كنموذج حتمي للتغير الاجتماعي العالمي. حيث صاغ مجموعة من علماء الاجتماع الغربيين نظريات التحديث من خلال قبولهم للإطار العام لعلم الاجتماع الديني عند فيبر.

– اتفقت الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة، من أن أعمال فيبر كانت عرضة للعديد من التفاسير، التي أثرت على عدد كبير من نظريات علم الاجتماع. كما كان لها تأثير على البنائية الوظيفية، خاصة عن طريق أعمال تالكوت بارسونز (T) Parsons عندما بدأت أعماله تكتسب أهمية لدى التقليد النظري للصراع وللنظرية النقدية، التي تشكلت في الغالب بأعمال فيبر، مثلما تشكلت بأعمال ماركس. التفاعليون الرمزيون تأثروا بأفكار فيبر عن "الفهم"، كما تأثروا بأفكاره الأخرى عن المعنى والدوافع في دراسة الظاهرة.

– الأخلاق البروتستانتية التي تقوم على تعاليم الكتاب المقدس وتتمسك بالعودة إلى الالتزام بمبادئه ترفض أخلاقيات الرأسمالية وروحها القائمة على حب المال والشح وغير ذلك من الأخلاق الذميمة لأن حب المال هو أصل كل الشرور، وليس المال أصل كل شرور، ولكن الاتكال على المال، وليس على الله، يجعل من العسير جدا لهذا الانسان أن يدخل الملكوت لذلك فالدراسة التي قام بها ماكس فيبر وأسماها "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" بناء على أرضية فكرية مرفوضة وغير صحيحة في نظر المذهب البروتستانتي.

أهم التوصيات التي تفيد صانعي القرار:

١- الاهتمام من قِبَلْ الاجتماعيين، والمربين والدعاة أن يأخذوا بنظر الاعتبار الوسائل التطورية والتربوية الحديثة الناجحة والمؤدية إلى تكوين جيل سليم العقيدة، قوي الإرادة صالح لنفسه، ومصلح لغيره ومجتمعه والاستشهاد بالقواعد الإسلامية الأساسية في التغير الاجتماعي.

٢- الاهتمام بالتعليم والجمع بين العلوم الدينية لتعلم الأخلاق الحميدة مع الاهتمام بتعلم العلوم الفلسفية والعلمية الحديثة لمواكبة التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي.

٣- الاهتمام بتدريس مادة اللغة العربية في قسم الاجتماع لأنها من أساسيات أي بحث علمي.

٤- تعليم الأخلاق في المدارس والجامعات (كمادة دراسية تكون قواعدها مستمدة من صاحب متمم مكارم الأخلاق النبي محمد ﷺ).